كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الأول

مقياس: السينما الصامتة

المحاضرة رقم 04 بعنوان:
"مدرسة برايتون البريطانية في حقب السينما الصامتة"

يرجع الفضل لمدرسة برايتون البريطانية بإخراج أولى 'أفلام 'المطاردة'، ذلك النوع السينمائي المتفوق نظرا إلى ما يتطلبه من مرونة في السرد، ولأن على الكاميرا أن تنتقل بلا توقف من المطاردة إلى من يطارده، فقد عرف 'ألفريد كولينز' في فيلمه 'زواج في السيارة' 1903، كيف يكون أول من يثبت هذه الحرية في وجهة النظر، والتي سيكون على غريفيث أن يبلغ ذروتها بعد ذلك سنوات قليلة.

منذ ذلك الحين كان شيء الجوهري في السينما قد تم ابتكاره، فلقد حددت أبجدية اللغة واكتشف التوليف الروائي. بينما بقي نصيب السينما في بريطانيا نوعا ما ضعيفا في تطور السينما رغم أنها لم تنقطع عن الإنتاج منذ سنة 1896، وبعد الوعود البديعة التي أعطتها مدرستها الشهيرة 'مدرسة برايتون'، التي تخصصت في إنتاج الأشرطة القصيرة والأشرطة الإخبارية لحساب بعض الشركات التجارية الكبيرة خاصة،

دخلت السينما الإنجليزية في طور طويل من الخمود والسكون دام حتى نهاية السينما الصامتة، حين بعثت من جديد بل وأصبحت أثناء الحرب الأخيرة وبعدها مركز جذب لكبار العالميين، وقفزت قفزة هائلة إلى الأمام.

حينها كانت أزمة السينما في بريطانيا أقل عمقا منها في القارة الأوروبية، فأخذ عدد كبير جدا من أصحاب الردهات الموسيقية يعرضون أفلاما، فاتسعت السينما السوقيةforain بسرعة بفضل 'ويليام بول' ذلك الرائد. ولم يلبث أن قلده أمريكي شاب يدعى 'شارل أوربان' الذي طرد من نيويورك جراء حرب 'براءات الصناعية'. فقد شرع ويليام بول بتصوير حوادث حالية أو حوادث تجري في الهواء الطلق، وبدأ عمله في فن الإخراج بفيلم 'الجندي المتطرف' كان ممثلوه هواة مرتجلون. وفي سنة 1899 أخرج ويليام بول فيلمان آخران بعنوان 'آخر أيام بومبي' وفيلم 'رحلة نحو القطب الشمالي' هذا الأخير يبدو أن له أثرا فذا في تاريخ السينما البريطانية، وقد أشعر هذا الفيلم قبل عشر سنوات بظهور فيلم 'غزوة القطب' لجورج ميليس، ومن الجائز أن يكون هذا الأخير استوحى فيلمه منه.

ومن بين إحدى المزايا التي تم التأكيد عليها في أعمال ويليام بول، إخراجه سنة 1900 فيلما عنوانه 'سباق جنوني في السيارة في ساحل بيكادللي' صور في الهواء الطلق، واستعمل فيه بصورة شعورية ولأول مرة المصورة المتحركة لتصوير الحركة الدرامية فهو يوهم المشاهد بأنه موجود في سيارة تسير بأقصى سرعة متجنبة بصعوبة أثناء سيرها الحوادث والاصطدامات. ولكن التصوير في الهواء الطلق استعمل بصورة أكثر كمالا من قبل 'ويليامسون و 'ج.أ. سميث' وكلاهما من بريغتون حيث كان يعيش المخترع 'فريز غرين' وكانا مصورين على الشاطئ، ثم أصبحا مصوري حوادث حالية، وسبق فريز معرفة سابقة بأفلام ميليس، ومن الجائز قبلها، طريقة تطابق الطباعة، استعملها في عمليات إزدواج الأشخاص في فيلم 'إخوة كورسيكيون' 1898 المستوحى من مشجاة Mélodrame لإسكندر دوماس.

ومن أشهر الأعمال التي صورت وفقا لأسلوب مدرسة برايتون، فيلم 'مهاجمة بعثة في الصين' للمخرج جيمس ويليامسون سنة 1900، هذا الفيلم يستغرق زمنا قدره خمس دقائق مقسوم إلى أربع لوحات، ولا

يخلو تركيبه من جرأة، حيث يظهر البوكسرس أمام باب البعثة ثم يقتحمون وتبدأ المعركة في حديقة المنزل يقتل فيها قسيس الرحلة، وتأخذ زوجته الواقفة في الشرفة تلوح بمنديلها، وبفضل هذه الإشارة يتغير المشهد حيث أبصر البحارة هذه التلويحة فيثورون للدفاع. فيأتي الفارس الجميل الذي يظهر في الحديقة فجأة وتحدث المعركة حيث يقتل بعض الصينيين وتنقذ زوجة القسيس مع ثلاثة من البهلوانيين من الحريق، حيث فتح هذا الأسلوب مجالا رحبا أمام ظهور مختلف الأنواع السينمائية آنذاك، فكانت من بين أفلام المغامرات وأفلام رعاة البقر، واعتبرت هذه الأنواع كلها وسائل درامية أساسية في السينما ظهرت لأول مرة، وأصبح الأسلوب القصصي الذي يعد نموذجا سينمائيا، كان مجهولا خارج انجلترا سنة 1900، بينما يعد سميث وويليامسون رائدا الفن السينماتوغرافي.

كما نجح السينمائي الإنجليزي جورج ألفريد سميث في ابتكار تقنية تقطيع المشهد إلى أكثر من لقطة واحدة، أي بإنجاز تقطيع داخل المشهد نفسه مع الحفاظ على تتابع الأحداث، وقد حقق ذلك أول مرة في فيلمه (Grandma's reading) 1900، الذي يرصد فيه طفلا يلعب بعدسة جدته المكبرة التي تستعملها للقراءة، وبينما يظهر الطفل وهو ينظر إلى الجريدة، يظهر عصفور في قفصه، ثم عين جدته.. إلخ، ننتقل بواسطة قطع مباشر من اللقطات الأولى لكل واحد من هذه الأشياء المؤطرة عبر قناع دائري أسود إلى أخرى أكثر بعدا عن الطفل الذي يتحرك بغرض تبئير موضوع مختلف.

وعليه، أخذت فكرة الحركة التي تنتقل من لقطة إلى لقطة مع مقطع مباشر بينهما، تتطور بشكل سريع، وكانت الأفلام الأولى التي استعملت هذا النمط من (التقطيع التقني) هي (القبض على اللص 1901) و(أطلق النار 1902) لجيمس ويليامسون. ويعتبر فيلم (القبض على اللص) أول أفلام المطارة، وهو نوع فيلمي لم يكتسب شرعيته بشكل طبيعي إلا عام 1903 حيث بدأ إنتاج مثل هذه الأفلام يعرف حركية نوعية. سينمائيون بريطانيون مثل (الماتشو The motershaws والهاكر The haggars وألف كولينس Alf collins)

أنتجوا أفلام مطاردة من قبيل اللص pickpocket، وسطو صيفي جريءDaring Daylight Burglary ، ونزاعات الصيد الجائر اليائسة Desperate Poaching Affray وغيره.

ومن بين ابتكارات ج. أ. سميث خلال السنوات الأولى من عصر السينما الصامتة، استخدام مشهد آخر (مدمج في المشهد الأساس) من أجل التعبير عن أحلام إحدى شخصياته أو أفكارها، كما هو الحال مع (سانتا كلاوس santa claus 1898)، ففي هذا الفيلم نرى طفلين صغيرين يحلمان ليلة الاحتفال برأس السنة الميلادية بالأب نويل الذي ينزل من مدخنة بيتهما ويخرج من المدفأة، ويصور هذا الحلم من داخل قناع دائري في الركن الأعلى من صورة غرفة نومهما، وقد استعار هذه التقنية (مثل غيرها من الوسائل السردية) من عروض الفانوس السحري، حيث تستعمل بنفس الطريقة ولنفس الهدف، ومن ثم أصبحت هذه تقنية رائجة في أفلام تلك الفترة.

بينما يعد خير مثال على الإنجازات التقنية التي استعملها ج.أ. سميث، تكمن في فيلمه المتميز (البيت الذي شيده جاك 1900)، the house that jack buil . فإذا كان استخدام الحركة المعكوسة في السينما موجودا منذ اللحظة الأولى، بواسطة التعريض الضوئي البسيط، كما نجد في فيلم الأخوين لوميير (هدم جدار 1895)، بحيث تعتلي الدهشة الجمهور وهو يرون الجدار المهدم يعود ليشيد من جديد من تلقاء نفسه، فإن سميث قرر إنجاز نسخة مصغرة من هذا المؤثر بشكل مستمر، وقد حقق ذلك بأصعب طريقة ممكنة في فيلمه (البيت الذي شيده جاك).

وعلى هذا الأساس، فإن فكرة تقطيع مشهد متصل إلى سلسلة من اللقطات، جسدت لأول مرة من قبل الإنجليزي ج.أ. سميث في فيلمي (نظارات الجدة 1900)، في هذا الفيلم تأتي التجربة على شكل لقطات أولية من خلال وجهة نظر إحدى شخصيات المشهد الفيلمي و(الطبيب الصغير 1901) في هذا الفيلم تأتي تجربة إدراج لقطة موضوعية أثناء الحركة وفي اللحظات المناسبة فما يعرف اليوم (بلقطة وجهة النظر) كانت لقطة شعبية الاستعمال، بشكل مباشر، في صناعة الأفلام بكل من فرنسا وأمريكا، فهي تعكس أنشطة تلصيية

مثل: النظر من ثقب أقفال المفاتيح والأبواب الموارية والجدران المشروخة والمناظير... وغيرها، وابتداء من عام 1905 أصبح استخدام مثل هذا النمط من اللقطات أمرا متداولا بين صناع السينما.

كما يرجع الفضل أيضا لمدرسة برايتون في استخدامهم للقطة القريبة، والذي اقتبسها فيما بعد المخرج الأمريكي 'إدوين بورتر' واعتمد عليها للمرة الأولى سنة 1903 في فيلمه 'سرقة القطار السريع'. بينما يمثل هذا النموذج شكلا توضيحيا لتدرجات اللقطة القريبة.

المكتبة البيبليوغرافية:

*جورج سادول، تاريخ السينما في العالم، تر: إبراهيم الكيلاني.

*مارسيل مارتن: اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، ترجمة فريد مزاوي.

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1895 / 1980 ، ترجمة: إبراهيم قنديل.

*خالد أقلعي، السينما والجذور.